Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من خلال كل ما تقدم نفهم أن الفكر كيان قائم بنفسه، وله عالمه، واننا ننقله باللغة إلى الآخر. بيد أن تعبيرنا عن أفكاره يكون متفاوتاً، فثمة ما لا نحسن التعبير عنه، وثمة ما نعبر عنه ويكون، مع ذلك، غير واضح، وثمة ما ننقله بيسر ووضوح إلى سوانا. وهنا نميز بين التعبير الأدبي وغيره. فالمهم في التعبير الأدبي هو كثافة العاطفة، وتكثيفها هو الذي يؤدي إلى الغموض الذاي تتفاوت درجاته بتفاوت الأعمال الأدبية. وهكذا، يمكننا أن نقول إن الوظيفة الرمزية في اللغة يمكن أن تتغير مستوياتها وتتباين. وهذه الوظيفة العامة جداً «هي التي تسمح للبشر ببناء الأفكار والصور والأعمال. ولكن ما إن يتعدى المرء الاستعمالات العقلانية الضيقة للغة، حتى تضطرب هذه الوظيفة وتتحدد، أو تصبح ممنوعة»، بحسب النقد التقليدي.(٢٠)

أما الفصل بين الفكر والكلام فليس إلا من باب التنظير، لأن الفصل بين الحامل والمحمول محال، ولا يكون إلا نظرياً. وعلى هذا يمكننا أن نقول إن الفصل بين التعبير (الحامل) والأفكار (المحمول) محال، على الرغم من أن معظم النقد العربي التقليدي قد اعتمد هذا الفصل ليحوّل الأدب، ولا سيما الشعر منه، إلى حرفة يتعلمها الإنسان.(٢١) وقد سمّى النقد التعبير أسلوباً، والأفكار مضموناً، وتناول علاقة المضمون بالأسلوب. وعليه، يكون هدف الدراسات البلاغية والبيانية إيصال الأفكار إلى المستقبل بأفضل وسيلة مطلوبة من وسائل التعبير.(٢٢)

---

(٢٠) رولان بارت، نقد وحقيقة، ص ٦٨. ويقول شوشار: «يرتبط كمال الوعي عند الإنسان باللغة. ومع ذلك فكل الحقل اللغوي لا يتسم بالوعي». (اللغة والفكر، ص ٧١) ونلفت إلى أن «مجموعة التحولات المعرفية والمنهجية التي جدّت في نظرية اللغة وأصولها، ومستوياتها ووظائفها، والفلسفة العلمية الكامنة وراءها تمسّ بشكل مباشر مفهوم الخطاب وطرق تحليله ووظائفه المتعددة بشكل كلي شامل، مما يجعل أي مقاربة علمية لهذا الخطاب تختلف في محدداتها ونهجها عن المقاربات البلاغية». (صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢٦)

(٢١) «اعتبرت البلاغة الكلاسيكية أن الأشكال زخرف وزينة... تضاف إلى القول لتحسينه» (المرجع نفسه، ص ١٣٤)

(٢٢) يقول لوسبرغ «إن البلاغة نظام له بنية من الأشكال التصورية واللغوية؛ يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد». (المرجع نفسه، ص ٩٧)